الفصل الثاني عشر

انقلابا ١٧ و٣٠ من تموز

وقتئذ كان الإنقلاب متوقعاً في كل لحظة لذلك لم يكن مفاجأة عندما وقع. ليس هناك حزب في البلاد العربية كحزب البعث مغرم بتدبير الإنقلابات فهي الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الوصول الى الحكم وقد أفاد رجاله كثيراً في هذا الإنقلاب الأخير من تجربة إنقلاب شباط ١٩٦٣، حينما اقنعوا كلاً من عبدالرزاق النايف مدير الإستخبارات العسكرية وإبراهيم الداوود وسعدون غيدان آمرَيْ الحرس الجمهوري بالتحالف معهم والتنكر لعبدالرحمن عارف وتم ذلك فسهل عليهم تحقيق الإنقلاب.

في ١٧ تموز ١٩٦٨ قصدوا عبدالرحمن محمد عارف وهو في مخدعه نائماً فأوقظوه وقالوا له من الآن ماعدت رئيساً للجمهورية فإستعدّ لأننا سنرحّلك فوراً الى الخارج. ولم يبدِ حرسه أي مقاومة. وقبل مدة كان (صعب الحردان) آمر الانضباط العسكري قد وقف على ما يبيِّت المتآمرون في الخفاء لرئيس الجمهورية فقصده وقال له: "ان عبدالرزاق النايف وإبراهيم الداود وسعدون غيدان ينوون الإطاحة بك بإنقلاب"، فإستدعى ثلاثتهم وسألهم عن صحة ما سمع فأقسموا له بأغلظ الأيمان بأنها كذبة رخيصة. فإقتنع بقولهم وصرفهم. وكان (صعب الحردان) أول من إعتقله الإنقلابيون بعد نجاح الإنقلاب.

كان (حردان عبدالغفار التكريتي) وراء الحلف الذي عقده البعث مع هؤلاء الثلاثة فإستمالهم ووعدهم بأيّ منصب يريدونه مؤكّداً لهم أنه لن يكون للبعثيين غير رئاسة الجمهورية الذي سيخصص لأحمد حسن التكريتي. واختار (عبدالرزاق النايف) لنفسه

رئاسة الوزارة وكان من نصيب (إبراهيم الداوود) وزارة الدفاع بعد ترفيعه من رتبة عقيد الى رتبة فريق وأسند (سعدون غيدان) لنفسه قيادة موقع بغداد مع ترقية من رتبة عقيد الى رتبة فريق وادخلوا أعضاء في مجلس قيادة الثورة.

في العشرين من تموز بادر رئيس الوزراء الجديد بالإتصال بالبارزاني برسالة بعث بها صُحبة صالح اليوسفي يطلب منه فيها تسمية وزيرين كرديين لضمهما الى حكومته[1] فسمى كلاً من محسن دزَيي وإحسان شيرزاد. كان لإستخبارات الثورة معلومات مؤدّاها ان الحلف الذي تم بين الفريقين إنما هو حلف وقتي وان البعثيين لن يلبثوا ان ينقلبوا على شركائهم. ووصلتنا معلومات ايضاً بأنّ اللواء العاشر المدرع سحب الى بغداد بزعم حماية العاصمة في حين ان إستقدامه كان تمهيداً لإحداث إنقلاب جديد. وهذه المعلومات التي حصل عليها جهاز إستخباراتنا عرضناها على قيادة الثورة وقلنا لهم أن يتوقعوا إنقلاباً في الأيام القلائل المقبلة وهكذا كان، وتم الإنقلاب على نحو ما هو معروف في الثلاثين من الشهر نفسه إذ أحدث البعثيون إنقلاباً جديداً وشُحن (عبدالرزاق النايف) بطائرة الى الخارج كما ابلغ (إبراهيم الداوود) الذي كان يقوم بزيارة القطعات العراقية في الأردن بإقالته من وزارة الدفاع وترحيله الى الخارج وأسند الى كل منهما سفارة، إلاّ أنّ (سعدون غيدان) كان على إتفاق مع البعثيين فبقي.

وشكَّل البعثيون بعد الإنقلاب وزارة جديدة أضافوا الى الكُرديَيْن الموجودين في الوزارة (طه محي الدين معروف) بإعتباره واحداً من مسؤولي قيادة جاش ٦٦ فعارضت قيادة الثورة في وجوده وخَيَّرت الحكومة بين إنسحاب وزيريها وبين العدول عن ضمّه، أو بقائهما بالاستغناء عنه إلاّ أنّ الحكومة الجديدة فضَّلت الاحتفاظ به

١- نص الرسالة: بغداد ٢٠ تموز ١٩٦٨

الأخ السيد الملا مصطفى البارزاني المحترم

تحياتي وأرجو لكم الصحة والسعادة

حمّلت الأخ صالح اليوسفي موجزاً لما سننهجه من الوسائل اللازمة لإيجاد حل ملائم للقضية التي بقيت متعلقة ولاتزال سنين عديدة. فأرجو مخلصاً الإستماع الى وجهة النظر والتعاون معنا من أجل تحقيق الوحدة الوطنية لما فيه الخير والرفاه الى الشعب العراقي عرباً وأكراد، مع خالص شكري وتقديري وتحياتي لكم والى الإخوان جميعاً وخاصة السيد إدريس ومسعود.

المخلص عبدالرزاق النايف

تجد صورة للرسالة في الملحق رقم (٢٩)، قسم الملاحق.

وآنذاك إنسحب ممثلا الثورة من الوزارة. وربّما أراد البعث بذلك ردّ الجميل لجماعة إبراهيم أحمد بسبب موقفها من هدنة شباط ١٩٦٤ مع عبدالسلام.

لم تقع معارك بين قوى الثورة وقوات الحكومة حتى أشرف العام ١٩٦٨ على نهايته. إلاّ أنّ المناوشات بين الپيشمرگه وبين جاش الـ٦٦ ازدادت عنفاً وضراوة. لكن كانت تحصل مواجهات عرضية أحياناً بين الجيش وقوات الثورة. ففي الأيام الأولى من الإنقلاب ولاسيّما بعد الثلاثين من تموز حاول البعثيون ان يبدو الحكم بوجه جديد يختلف عما جاء به في ١٩٦٣ فإعترف بأخطاء الحكم الماضي كما حاول التقرب الى الحزب الشيوعي واطلق سراح أعضائه السجناء. ولقي تقربه منهم انعطافاً اليهم الى الحد الذي أدى بالشيوعيين الى ترك صفوف الثورة في العام ١٩٧٢ والإنحياز الى البعثيين وتشكيل قوات خاصة بهم وزاد النظام الجديد من إعتماده على جاش ٦٦ ووثّقوا صلاتهم وإنضم هذا وذاك في جبهة وشرع النظام بالقضاء على معارضيه، ثم شن حملة وحشية على كردستان ونشر في الداخل إرهاباً أعاد الى الذهن ما فعلوا في العام ١٩٦٣ وفتحوا أبواب قصر النهاية مجدداً وألقوا القبض على كبار الشخصيات وصغارها وكل من يشتبهون بمعارضته وزجوا بهم في قصر النهاية. وكان رئيس جلاديهم (ناظم گزار) مدير الأمن العام يشرف شخصياً على التعذيب، هذا فضلاً عن تعريض كرام الشخصيات الى الإذلال النفسي وممارسة اخطر أنواع الإجراءات لتحطيم الكرامات.

كتب الذين اسعدهم الحظ بالخروج أحياء من هذه المحنة وهم قلة، عن تجربتهم المروعة ومنهم (عبدالكريم فرحان) و(أحمد الحبوبي). وكان من بين الذوات الذين ضمهم قصر النهاية (طاهر يحيى وعبدالرحمن البزاز وعبدالعزيز العقيلي وعبدالإله النصراوي وإبراهيم فيصل الأنصاري والدكتور كاظم شبر واللواء الركن شاكر محمود شكري واللواء الركن كمال مصطفى علمدار واللواء الركن زكي حسين حلمي والدكتور عبدالكريم هاني وزير الاشغال وقاسم المفتي السفير في الكويت وغيرهم وغيرهم).

ملحمة أخرى في قَرَداغ

فسح نظام البعث لجاش ٦٦ المجال للقيام بالمزيد من التحرشات والتخريب في كردستان بشكل فاق ما سمح به لهم النظام القديم. كان هؤلاء يحلمون منذ زمن بعيد بالسيطرة على قَرَداغ. وكالسابق باءت محاولات كثيرة لإحتلاله بالفشل. وها هم الآن يشعرون بالإسناد والقوة فخططوا مع النظام الجديد لإحتلاله لاسيّما بعد ان أمَّنوا مساندة إثنين من أمراء البتاليونات هناك هما جعفر برزنجي وكامل ملا ويس. هذان سلَّما المنطقة التي رابط فيها فوجاهما لجاش ٦٦ خيانة منهما وغدراً.

في ١٢ تشرين الأول ١٩٦٨ وُجِّهت ألوية خَبات ورزگاري ودَشتي هَولْير لتعزيز قوات الپيشمرگه في قَرَداغ. وشرعت بهجوم واسع النطاق دام ستة أيام حتى ١٨ تشرين الأول فأكملا تطهير المنطقة كلها من جاش ٦٦ وألحقت خسائر عظيمة بهم منها سبعون قتيلاً ومائة وعشرون وقعوا في أسر قواتنا وهربت فلولهم لاتلوي لتلوذ بمدينة كركوك. وعليٌّ هنا أن أشيد بدور علي سنجاري الهام الى جانب القادة العسكريين[٢].

في العام ١٩٧٠ عندما وصل الوفد الحكومي گلاله لإجراء حوار وكان بينهم مدير الحركات العميد الركن محمد علي سعيد الذي تحدث عن تلك الحركات فذكر مايلي: "وعدونا [يقصد جاش الـ٦٦] بأن في إمكانهم تطهير المنطقة وبسط السيطرة الكاملة عليها. لاسيّما بعد إنضمام جعفر برزنجي وكامل ملا ويس مؤكدين بأنّ هذه هي البداية فقط. على أننا بعد الهجوم الكاسح الذي قام به الپيشمرگه وهروبهم الى كركوك بعثنا بفوج نظامي اليهم لمساندتهم وردهم الى ساحة القتال ومنعهم من دخول المدينة فلم نستطع ورفضوا".

في هذه المعركة قتل الخائن كامل ملا ويس ووقعت جثته بيد الپيشمرگه. وكانت المعركة درساً بليغاً للنظام وللجاش فلم يُقدِموا بعدها على عملٍ مماثل.

بعث البارزاني ببرقية تهنئة للپيشمرگه بالمناسبة[٣].

٢- للتفاصيل تراجع رسالة إدريس البارزاني. الملحق رقم (٣٠) قسم الملاحق.

٣- النص: الى هيز قَرَداغ. مكرر المكتب التنفيذي وسائر الهيزات والمقرات. من البارزاني مصطفى:
نشكركم ونهنئكم وكافة إخواننا الپيشمرگه الأبطال على الإنتصارات التي حققتموها بشجاعتكم وتفانيكم في سبيل قضية شعبنا العادلة. ونعتز ونفتخر ببطولتكم وإخلاصكم، لن ينسى التاريخ دماء =

إقتراح خطة للإستيلاء على سپيلك وروانـدز

عرض الإيرانيون والإسرائيليون علينا إقتراحاً طَمُوحاً للإستيلاء على منطقتي سپيلك وروانـدز ووعدوا بكل مساعدة يقتضيه تحقيق هذا الهدف، من ذلك أسلحة متقدمة ضد الجو ومدفعية جبلية من عيار ضخم "وبكل ما نريد من مهمات وسلاح" وبناءً على هذا جاءنا في ٢١ آب ١٩٦٨ ضابط من إسرائيل باسم (دافيدي) وآخر إيراني باسم (سرهنك بهلوان) ومَثّل الثورة المقدم عزيز عقراوي من أجل التنسيق والتعاون. وبعد عدة إجتماعات ودراسة الموقع موضعياً وتفهّم نية الطرفين من هذا الإقتراح والمساندة تبيَّن بأنّ الجانبين يريدان توريطنا بإشراكنا في سياسة البلدين التي ترمي الى توجيه رسالة تحذير للعراق بالخطورة والآثار التي قد تنجم عن التحرش ببلديهما لاسيّما بعد قيام النظام الجديد، وكذلك تحسباً لقيام تحالف أو وحدة بين العراق وسورية ومصر ثم مباشرة تلك الوحدة أو التحالف أعمالاً عدوانية مشتركة ضد إيران وإسرائيل.

وفي إجتماع للقيادة برئاسة البارزاني. رأى الوالد أن يصرف النظر عن القيام بهذه العملية بسبب ما قد تكلفنا من خسارة كبيرة في أرواح الپيشمرگه الى جانب الخسارة السياسية. فبقدوم فصل الشتاء ستنطلق الطائرات دون قيد بقصف كل زاوية في كردستان ومن المستحيل تأمين حماية جوية كافية فصرفَ النظر عن الخطة وعاد الضابطان من حيث أتَيا. كانت إسرائيل أشدّ قلقاً من الإيرانيين على ما ينويه النظام الجديد.

وفي أواخر العام ١٩٦٨ عاد الجانبان يعرضان مقترحهم السابق. وكانوا على علم بأن البعثيين يعدون خطة سوداء لتصفية القضية الكُردية عن طريق القيام بمجزرة عامة في كردستان. إلاّ أنّ البارزاني أصر على موقفه الأول بالرفض بقوله أنّ الصفقة الوقتية المتأتية من نصر كهذا لاتوازي على المدى القصير الضرر اللاحق على المدى الطويل.

= شهدائنا، تأكدوا أيها الأخوان أن النصر النهائي سيكون لنا بلاريب إن شاء الله وبعونه.
البارزاني
١٩٦٨/١٠/١٨

وفاة الشيخ أحمد

وفّرت وفاة شيخ بارزان فرصة كبيرة للحل السلمي إلاّ أنّ نظام البعث فوَّتَ تلك الفرصة عليه. عندما بلغ نبأ مرض (مولانا) للبارزاني أمرني في ٥ كانون الثاني ١٩٦٩ بالذهاب فوراً الى بارزان لمعرفة خطورة مرضه. وصلت في اليوم التالي عصراً بعد سفر متواصل ليلاً ونهاراً سيراً على الأقدام. ما أن رأيته حتى أدركني خوف عظيم عليه، فبعثت ببرقية للوالد اشرح له فيها سوء حاله وقلت إن حياته الآن بين يَدَي الله.

فكان جوابه: ضعوه على نقّالة واحملوه على الأكتاف الى گلاله لإرساله الى الخارج. إلاّ أنّ ذلك لم يكن ممكناً وكان الدكتور حكمت قد سبقني الى بارزان للعناية به. قال لي لابدّ ان يرسل الى المستشفى بأسرع وقت ممكن لتوفر الوسائل والأجهزة فقد توقفت كليتاه عن العمل وحياته الآن في خطر. وأجازنا البارزاني بطلب مروحية من النظام لنقله الى بغداد. وقام مدير ناحية بارزان بإرسال برقية للمراجع المسؤولة وفي اليوم التالي أقبلت مروحية مع الأطباء التالية أسمائهم:

الدكتور رافد صبحي والدكتور مهدي مرتضى والدكتور شوكت الدهان وبعد الفحص قرروا حمله فوراً الى بغداد فنقل اليها في اليوم التاسع من كانون الثاني وادخل مستشفى (ابن سينا). وفي الرابعة قبل فجر يوم ١١ كانون الثاني ١٩٦٩ غادر مولانا الدنيا بحضور ابنه محمد خالد وسليم يوسف. توفي الشيخ في أرض بعيدة عن مسقط رأسه لانملك فيها قولاً ولا أمراً ولم نكن ندري ماذا نفعل إلاّ أنّ الشهامة التي أبداها الفريق حردان عبدالغفار وزير الدفاع لايمكن ان تُنسى. فقد أمر بإعداد مروحية وأرسل مندوباً عنه للقيام بكل الإجراءات اللازمة لنقل الجثمان الى بارزان. كانت تلك بادرة إيجابية تدل على الشهامة وإلتفاتة طيبة قد تؤول الى سلام، إلاّ أنّ النظام لم ينتهز الفرصة. وبعث البارزاني باسمه رسالة شكر واوعز لصالح اليوسفي ان يذهب بإسمه ليقدم شكره الخاص لرئيس الجمهورية ولحردان عبدالغفار.

وأسفر النظام عن وجهه الحقيقي إذ لم يمر وقت طويل حتى أصدر أمراً بإلقاء القبض على صالح اليوسفي. إلاّ أنّه إستطاع أن ينجو بنفسه في آخر لحظة. وكان جزءً من خطة

عامة فقد بادروا بإلقاء القبض على كل من شك في ان له علاقة بالثورة وأقفل باب الحوار والتفاهم.

ضرب نفط كركوك (بابا گورگور)

منذ مدة كانت فكرة ضرب منشآت النفط في كركوك تخامر قيادة الثورة لأسباب واضحة، حيث كانت هذه الثروة تستفيد منها جهات عديدة عدا الكُرد، وكانت تموّل ماكنة الحرب ضد الشعب الكردي الذي كانت حصته من ثروته هذه القنابل.

وسبق ضرب بعض أنابيب نقل النفط أكثر من مرة، ولكن ذلك لم يقلق الحكومة العراقية ولا شركة النفط (BP). ولم تقرر القيادة ضرب مركز الشركة إلاّ بعد أنْ أدركها اليأس من الوصول الى تفاهم مع الحكومة، وحينذاك شرع بالتدريب بهدف تنفيذ الخطة.

أوكل الى محمد محمود عبدالرحمن (سامي) مهمة قيادة العملية يعاونه كلٌّ من فاخر ميرگەسوري وفارس باوه وحمه سور حسين وعزالدين قره محمد وعريف درويش والكادر الحزبي قادر جباري.

وتم إعداد خطة متكاملة نتيجة دراسة مستفيضة وبات واضحاً أنّ الهدف الأساسي ينبغي أن يكون (معمل التركيز)، حيث يتجمع النفط من الآبار كافة بعد مروره على محطات عزل الغاز، وهو في حالة عمل دائمة، هذا بالإضافة الى مجمع خزانات النفط الوسيع والمجاور له حيث يكون النفط معداً للضخ.

ووقع الإختيار على مدفع الهاون (١٢٠) والمدافع عديمة الإرتداد (١٠٦) لإستخدامها في ضرب الشركة وكان التعويل على الـ(١٠٦) أكثر لأن قنابلها خارقة حارقة.

دخل مجموعة من الشباب (الجنود المجهولين) من هيز هَلگورد دورة خاصة على الأسلحة المخصصة للعملية. وقبل البدء بتنفيذ العملية جرى إستطلاع ميدانيّ على الأرض فسافر سامي وفاخر من گلاله وإنضمّ إليهم في سهل أربيل فارس باوه آمر هيز دَشتي هَوليز (سهل أربيل) وحمه سور حسين آمر فوج شوان المجاور لمنشآت النفط وإنتهت عملية الإستطلاع بنجاح في نهاية كانون الثاني ١٩٦٩.

كان الخامس عشر من شباط ١٩٦٩ نهاية مرحلة التدريب وتم نقل حمولة أكثر من مائة بغل من المدافع والأعتدة المختلفة عبر طرق جبلية وعرة الى سهل أربيل.

وعاون جهاز الإستخبارات (الپاراستن) بتوفير المعلومات الدقيقة حول توزيع قطعات الجيش وحجم ونوع الحماية التي وفرتها السلطة لشركة النفط مع مسح دقيق وخرائط متقنة لمواضع تلك المنشآت.

ومع إتمام الإستعدادات في ٢٥ شباط ١٩٦٩ لبدء العملية، وللتغطية بث جهاز إستخبارات الثورة بطريقته الخاصة خبراً مؤداه أنّ قوات الثورة مقدمة على عمليات واسعة النطاق في سهل أربيل، وكان الغرض من ذلك توجيه إهتمام الحكومة الى ذلك القطاع وحشد أكبر ما يمكن من القطعات في منطقة أربيل، فعلى سبيل المثال كان هناك فوج في (ريدار) وكان مصدر قلق رئيسي وبإمكانه إفشال العملية، فنُقل الى أربيل وبهذا بات الطريق آمناً أمام الحملة[٤].

في ليلة ١-٢ آذار ١٩٦٩ بلغت قوات الپيشمرگه المواضع المحددة لها في الخطة وتمت التدابير بدقة وإنتظام وثبت القسم الأكبر في مواضعه وفي الساعة التاسعة ليلاً بدأت المدافع بقصف منشآت الشركة ودام القصف مدة ساعتين وتصاعد لهيب هائل بلغ عنان السماء من معمل التركيز وإعترى المدافعين إرتباك عظيم ووقعوا في حيرة شديدة وقد خيّل لهم في بداية الأمر أنّ المنشآت كانت هدفاً لغارة جوية. ثم أدركوا بأنّ القصف أرضي. وبعدما أنجزت العملية أرسلت الحكومة عدداً من الطائرات التي فشلت في العثور على المهاجمين.

وفي الساعة الحادية عشرة وصلت من محمد محمود (سامي) برقية تفيد بأنّ العملية تمّت بنجاح تام وكان رمز العملية (روبار).

تلك هي المرة الأولى التي نقوم فيها بمثل تلك العملية الجريئة، وكان الهدف منها إحداث تأثير معنوي أكثر من إيقاع أضرار مادية. وكانت الرسالة واضحة للنظام بأنّ يد الثورة الكردية تستطيع أنْ تطال أهمّ مصدر إقتصاديّ حيوي يعتمد عليه.

٤- كان السيد عبدالجبار مدير أمن أربيل آنذاك من الإخوة العرب المتعاونين معنا، وكان لديه جفرة خاصة أوهم رؤساءه بأنه تمكن بسعي وكلائه من الحصول عليها بإعتبارها الجفرة التي تستخدمها الثورة. وبهذه الوسيلة كنا نخادع السلطة عندما نريد تسريب معلومات خاطئة لها.

وبقيت هذه العملية مادة للإعلام الخارجي مدة طويلة، دفعت بعض الجهات لإعادة النظر في مواقفها السياسية من النظام ومن ثورتنا. كان الإنسجام والتنسيق والتعاون الكاملين يسودان القوات المنتدبة لهذه العملية لتتكلل بالنجاح، وقد توقّعنا عملية إنتقامية من السلطة كإرسال طائراتها لقصف مقر الثورة فإتخذنا الإحتياطات إلاّ أنّه لم يبدر من النظام شيء.

سألتُ بعض مسؤوليهم بعد إتفاق الحادي عشر من آذار، ما الذي منعكم من ردّ فعل فقالوا: "والله خشينا من وجود مقاومات الجو عندكم".

إتصلنا بشركة النفط البريطانية (BP) لنخبرهم بأنّ ما فعلناه إنّما هو مجرّد إنذار لما يمكن أن يتلو في المستقبل من عمليات أوسع، فهذا النفط الذي هو ملك أبناء أمتنا يستخدم الآن للفتك بأرواحنا وتشريد أهالينا وإتلاف أموالنا ومزارعنا، وصاحب المال محروم من ماله، وعليكم أن تفكروا جدياً الآن بإيصال حقوقنا من عائدات النفط.

قام مركز شركة النفط في لندن بإرسال الصحافي المعروف اللورد كيلبراكن عضو مجلس اللوردات البريطاني مع رجل آخر يطلق على نفسه إسم (بلاك بيرن) للشروع في حوار مع الثورة وتخطيط برنامج مستقبلي للعلاقة. ولوّحت بإمكانية تقديم دعمٍ مادي للثورة ضماناً لعدم تكرار مثل هذه العمليات، إلاّ أنّ الشركة لجأت الى الأساليب الملتوية والحيل ولم ينجم عن ذلك شيء.

وكان ردّ فعل السلطة أنّها أقامت تحكيمات فائقة للعادة للمنشآت وأحاطتها بالدبابات وعززتها بقوات كبيرة من المشاة.

كانت عملية بابا گورگور رسالة بليغة لجميع الأطراف.